الكتابات السياسية الكاملة

القائد المؤسس ميشيل عفلق

في سبيل البعث - الجزء الأول

الباب الثاني - حركة البعث العربي

البعث العربي إرادة الحياة - نيسان/أبريل 1950

إننا لسنا الا نتاج أمنةا[1]، وإننا إذا استطعنا أن نعمل حتى الآن شيئاً وأن نقترب من بعض الفضائل وأن نطمح إلى المزيد من هذه المثالية، فليس ذلك العمل خاصاً بنا كأفراد، وليس ذلك العمل لتفوق فردي. وإنما يرجع الفضل في ذلك كله إلى هذه الإرادة المستيقظة في امتنا التي تفرض نفسها على طبيعة أبنائها، لتؤمن دوما بان ما نعمله وما نفكر به وما نستطيع تحقيقه في نفوسنا وفي المجتمع ليس الا صدى باهتا، وليس الا حقيقة ناقصة، بالنسبة إلى حقيقة أمتنا الخالدة. ولنضع أمنتنا المثالية فوق كل اعتبار وفوق كل شخص، ولنضع حزبنا الذي هو صورة الأمة المثالية فوق أشخاصه وقادته، فإذا أردتم أن تحيوا أحداً فحيوا حزب البعث العربي الذي استطاع في مثل هذه المرحلة الحرجية القاسية في حياة أمتنا أن يسموا بالفكرة فوق الواقع وفوق الأشخاص. وما قيمة الأشخاص إلا بمقدار ما يتمثلون هذه الفكرة وبمقدار ما يكونون صورة قريبة منها وتعبيراً صادقاً منسجماً معها، أي بمقدار ما يطيعونها. فالقيادة الحقيقيون هم الذين يعرفون ان يطيعوا الفكرة، كما أن الأعضاء المخلصين هم الذين يطيعون الفكرة من خلال توجيه القادة.

تتلخص فلسفة البعث العربي في هذه الكلمة: ثقة الأمة العربية بنفسها، واعتمادها على قواها. ومعنى ذلك أن البعث العربي الذي يريد أن يكون طليعة هذه الأمة، عليه ألا ينشد أية مساعدة، وأية قوة خارجية عن نفسه وعن ذاته. لقد قام حزبنا على هذا الأساس، على هذا الشعور، على هذا الواقع، على هذه العقيدة. إذا وثقنا بأنفسنا، إذا وثق فرد عربي واحد بنفسه، فالأمة كلها ستثق بنفسها.

سرنا بهذه العقيدة، ولم تخيب الحوادث أملنا، ولم تخيب أمتنا أملنا. إننا نبني عملنا على عقيدة لا تمت إلى الوهم أو السحر بصلة، وإنما تركز على أقوى دعائم الواقعية العلمية والعلم، وهي أن مصلحة المجموع العربي هي في اتجاه هذه الحركة، وأن حياة المجموع العربي هي في اتجاه هذه الحركة. لهذا يكفي أن تنشأ حركة مهما تكن بسيطة حتى يكون مجرد ظهورها ومجرد تقدمها خطوات في الطريق، حافزاً وموقظاً لهذه المصلحة التي يشعر بها المجموع بهذه الإرادة الكامنة، حتى يتم هذا التجاوب وهذا التعاون المستمر بين الحركة الرائدة وبين المجموع الغافي الذي يستيقظ يوماً بعد يوم، وفي آخر هذا التجاوب الذي لن يكون طويلاً، يتحقق البعث العربي.

[1] من حديث ألقى في مكتب الحزب بدير الزور

إننا نمثل الحرية والاشتراكية والوحدة. هذه هي مصلحة الأمة العربية، وأقصد بالأمة العدد الأكبر، ولا أقصد بها تلك الأقلية المشوهة الشاذة المنكرة لذاتها، المستعبدة لأنانيتها ومصالحها الخاصة، لأنها لم تعد من الأمة. فما دامت هذه الأهداف في التعبير عن مصلحة العدد الأكبر، فلنثق ولنؤمن بأن العدد الأكبر سيأتي إلينا. وأقول أكثر من ذلك بأنه يمكننا أن نعتمد ليس فقط على العدد الأكبر من الشعب العربي في هذا الوقت، بل نعتمد على العرب وعلى تاريخ العرب وعلى تلك الإرادة التي تشع من العرب الأحياء والأموات، على تلك الروح التي تسري عبر الزمن في الأرض العربية، تلك الروح وإن شابتها الشوائب في فترات من الزمن، فإنها لا تزال ذات إرادة ولا تزال تريد الحياة والانبعاث.

فقوتنا إذن ليست قوة العدد الأكبر من مجموع العرب في هذا الوقت فحسب، وإنما هي قوة التاريخ العربي أيضاً، لأننا نسير في اتجاه الروح العربية الأصلية، لأننا نسير وفق ما تمناه أجدادنا الأبطال أن تسير الأمة العربية في كل وقت وزمن.

وإننا نعتمد أيضاً على قوة أخرى لا يستهان بها، ما دمنا نعتقد بأن القومية الصحيحة هي الإنسانية الصحيحة، وأن بعث أمتنا هو بعث للإنسانية بكاملها، هذه القوة هي قوة التاريخ الإنساني. فنحن نسير في اتجاه التقدم والتحرر والعدل، ولسنا ندير ظهورنا ونعمي أبصارنا عن هذه الحقيقة الإنسانية. فإذن نحن محاطون بقوى ثلاث أساسية تكفي لكي تملأ قلوبنا بالثقة والعزم: قوة مصلحة الشعب العربي في حاضره، والتاريخ العربي في ماضيه، والتاريخ الإنساني في تقدمه نحو الحرية والاشتراكية والوحدة.

المصدر:

ميشيل عفلق، الكتابات السياسية الكاملة، في سبيل البعث، الجزء الأول، الباب الثاني: حركة البعث العربي، مقال (البعث العربي إرادة الحياة): نيسان/أبريل 1950